

ابن حمديس الصقلي

دراسة موضوعية فنية

بحث مقدم من المدرس المساعد
زياد طارق لفته العبيدي

جامعة ديالى / كلية التربية الأساسية / قسم اللغة العربية

٢٠٠٦م

١٤٢٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم
المقدمة

لا شك ان القارئ للادب الأندلسي يجده ادبا عريقا بإيحاءاته وصوره التي رسمها على الخصوص شعراؤه الافذاذ ، الذين سجلوا لنا تاريخ حقبة طويلة عاشتها الاندلس الاسلامية بأفراحها واحزانها. ومن بين هؤلاء الشعراء ابن حمديس الصقلي ، الذي عرف بدوره ومكانته في التجديد في الشعر الأندلسي ، فضلا عن براعته في تصوير اغترابه وشكواه من الزمن الذي جعل بلاده تقع تحت يد النورمانديين الذين ساموا اهل صقلية الذل والهوان وفر منها ابن حمديس وكابد كثيرا ، وقد استطاع ان يصور كل ذلك بأسلوب يقطر حزنا وأسى ، ثم ظهر مبدعا ومجددا في وصف الطبيعة . وجاء هذا البحث ليظهر لنا براعة الشاعر في الوصف الدقيق ، فضلا عن قدرته الفائقة في التصوير ، وقد قسمته على الشكل الآتي :-

التمهيد : الظروف السياسية والاجتماعية التي عاشها الشاعر.

- المبحث الاول : البيئة والشاعر.

- المبحث الثاني : اغراض شعره.

- المبحث الثالث : مميزات شعره.

- الخاتمة : وتتضمن النتائج المهمة التي توصلت اليها في بحثي.

- المصادر والمراجع.

ومن الله التوفيق.

التمهيد

الظروف السياسية والاجتماعية التي عاشها الشاعر :-

لم يكن فتح العرب المسلمين للانديس مجرد رغبة طارئة اوجدها فتح شمال افريقية. وانما كان نتيجة اسباب متعددة ومتنوعة في آثارها وأهميتها تعاونت لتجعل العرب يعبرون بحر الظلمات كما كانوا يسمونه ،لعل أهمها :

١ . حب العرب المسلمين ((لنشر كلمة الله والقضاء على المظالم التي ترزح تحتها الامم التي قضى عليها جور الحكام وعسفهم))^١.

٢ . في الوقت الذي اخذت اسبانيا تجذب انظار العرب المسلمين الا انها كانت ايضا تمر بأسوأ الاحوال السياسية والاجتماعية وهذا ما ساعدهم على فتحها فقد ((كتب يليان الى موسى بن نصير عامل الوليد بن عبد الملك في المغرب يزيّن له فتح الاندلس ويصف خصيب اراضيها ووفرة اموالها وسهولة التغلب عليها لتخاذل اهلها وانقسام بعضهم عن بعض ووعدته بالمساعدة فاستأذن موسى بن نصير الخليفة بغزو الاندلس فأذن له))^٢.

٣ . ان انتصارات المسلمين في فتوحات شمال افريقية الواحدة تلو الاخرى جعلتهم يدركون أن هذه البلدان ستكون حصنا للمسلمين تحمي ظهورهم. فأخذت فكرة عبور بحر الظلمات تراود عقبة بن نافع الفهري الذي اختط مدينة القيروان سنة ٥٠ هـ اذ كان عامل معاوية في المغرب وهو الذي قال : يا رب لولا هذا البحر لمضيت في البلاد مجاهدا في سبيلك. ونضجت هذه الفكرة بعد نجاح الاسلام في استمالة قلوب البربر واستتب الامر للمسلمين^٣. على كل حال عبر العرب بحر الظلمات من مضيق جبل طارق عام ٩٢ هـ الى جزيرة الفندال التي كانت العرب تسميها الجزيرة الخضراء^٤. ولم يكن الجيش الفاتح من العرب فقط وانما كانوا من العرب والبربر ((فاما العرب فكانوا يفضلون دائما البساط والمنخفضات والنواحي الدافئة والقليلة المطر في الجنوب والشرق والغرب وناحية سرقسطة واما البربر فكانوا في بلادهم يعيشون في بلاد جبلية عالية فألفوا مثل هذه البلاد في الاندلس فاستقروا فيها باختيارهم))^٥.

وتم التمازج عن طريق التزاوج بالاضافة الى عوامل دينية وثقافية. وصقلية مسقط رأس الشاعر وملاعب صباه، بدأ المسلمون بفتحها سنة ٢١١ هـ على يد أسد بن فرات أيام زيادة الله بن الاغلب والي افريقية واستمرت اعمال الفتح مدة غير قصيرة ولم تخضع كل صقلية خضوعا تاما لحاكم عربي واحد الا ايام بني ابي الحسين الكلبيين الذين كانوا يتبعون الخلافة الفاطمية مع احتفاظهم بقسط من الاستقلال الذاتي في الجزيرة... ثم هبت ريح الفتنة على صقلية وتجدد فيها صراع الجنسيات المختلفة من افريقية وصقلية ايام الاكحل من بني ابي الحسين واخيه حسن الصمصام... وكانت مدينة سرقوسة وقطانية من نصيب ابن الثمنة وهو الذي استدعى النورمانيين من ايطاليا ليسلمهم الجزيرة على اثر ما قام بينه وبين ابن الحواس من حروب ولم يجد النورمانيون فتح الجزيرة سهلا ولم يتم لهم الامر عليها عام ٤٨٤ هـ^٦.

وفي ((سنة ٤٧١ هـ (١٠٧٨-١٠٧٩م)) كان النورمانيون قد استولوا على معظم جزيرة صقلية))^٧.

١ . الادب العربي وتاريخه . محمود مصطفى ٥٠/٣

٢ . في الادب الاندلسي . د. جودة الركابي ص ١١ .

٣ . ينظر الادب العربي وتاريخه ٦-٥/٣ .

٤ . ينظر في الادب الاندلسي ص ١١ .

٥ . فجر الاندلس . د.حسين مؤنس . ص ٥٤ .

٦ . ينظر مقدمة ديوان ابن حمديس بقلم الدكتور احسان عباس ص ١-٢ .

٧ . تاريخ الادب العربي . عمر فروخ . ٢٠١/٥

وخلال ابتداء الفتح النورماني وانتهائه كان الصقليون يهجرون بلدهم الى مصر والقيروان والاندلس. وكانت سرقوسة (مسقط رأس الشاعر) من المدن التي قاومت طويلا وافتخر بها الشاعر بعد ان هاجر منها وتشفع لاهلها كثيرا كما سنرى في الفصول القادمة وقد شهدت صقلية ايام الحكم العربي والنورماني نشاطا واسعا في الاداب والعلوم... وكان ديوان ابن حمديس من جملة ما وصل الينا. وصارت لفظة (اندلس) في الادب تشير الى نتاج اجيال ولدت في الاندلس ومن هاجر اليها. وقد اوضح مدلول هذه اللفظة بهذا المعنى ابن حزم الاندلسي بقوله: ((ان جميع المؤرخين من ائمتنا السالفين والباقيين دون محاشاة احد - بل قد تيقنا اجماعهم على ذلك متفقين على ان ينسبوا الرجل الى مكان هجرته التي استقر بها ولم يرحل عنها رحيل ترك لسكانها الى ان مات فمن هاجر الينا من سائر البلدان فنحن احق به وهو منا بحكم جميع اولي الامر الذين اجماعهم فرض اتباعه. وخلافة محرم اقترافه... ومن هاجر الى غيرنا فلاحظ لنا فيه والمكان الذي اختاره اسعد به)).^١

ومن هنا نفهم اهتمام الدارسين باندلسية ابن حمديس في شعره رغم اشتهار صقليته فهو شاعر اندلسي من حيث الخصائص وولعه بالطبيعة ووصفه لمجالس الانس فيها.

وقد فضل الدكتور مصطفى الشكعة القول في تركيبية المجتمع الاندلسي الذي ضم أجناسا من البشر ذوي عقائد عديدة وعادات مختلفة من عرب وبربر وصقالبة ويهود واسبان والعرب منهم النزاريون والقحطانيون. وأشار الى ان هذه المدة لم تكن مدة استقرار ورغد نتيجة الحروب والمشاحنات.^٢

ولكن العرب المسلمين استطاعوا تكوين دولة قوية بلغت اوجها زمن عبد الرحمن الناصر والذي كان اول من طمح بالخلافة من امراء فلقب بامير المؤمنين وازدهرت في ايامه الاندلس ايما ازدهار وتطرق الدكتور احسان عباس الى العوامل التي ساعدت على تكوين الشعر الاندلسي نوجزاها بجهود طبقة المؤدبين وأثرها في نشأة الشعر والمقاييس النقدية، وجهود المهاجرين في طلاب الحاجات وتشجيع الحكام وادخالهم ضروبا من الثقافة المشرقية وحركة الغناء في الاندلس واعتمادها على التلاحين الشرقية، وتقريب الحكام لاصحاب الثقافات والفنون المقيمين والوافدين وهجرة الكثير من الكتب المشرقية الى الاندلس ايام الحكم الذي وجه الى المشرق عباس بن ناصح الجزري في التماس الكتب القديمة بالاضافة الى كون الحكام والامراء انفسهم شعراء ومنهم المقل ومنهم المكثر حتى صار الشعر من العناصر التي تقدم المرء في الحياة السياسية وترقى به الى المناصب الرفيعة.^٣

لقد كان هم الشعر في الاندلس ان يحاكي ويقلد شعر المشاركة لانهم اعتقدوا ان الشعر في المشرق قد بلغ درجة الكمال والمعجزة التي لا يمكن الإتيان بمثلها. فلذا قال ابن بسام في مقدمة الذخيرة ((الا ان اهل الاندلس ابوا الا متابعة أهل المشرق يرجعون الى اخبارهم المعتادة رجوع الحديث الى قتادة حتى لو نعت بتلك الافاق غراب وطن باقصى الشام والعراق ذباب لجثوا على هذا ضما وتلوا ذلك كتابا محكما)).^٤

ومن اللافت للنظر في تاريخ المسلمين هي الأحداث الخطيرة التي حدثت اوائل القرن الخامس الهجري والتي كان من نتائجها خلال الخلافة في قرطبة وابتداء عهد ملوك الطوائف، ويستغرب الدكتور صلاح خالص من الانهيار السريع لتلك الدولة القوية التي بناها عبد الرحمن الناصر واسندها الى جب المنصور وابنه الحاجب المظفر ولما يمض على وفاة الاخير غير عامين ويستنتج الدكتور صلاح ان هذا الانهيار لا يعود لاسباب خارجية لان الدولة الاسلامية لم تقع فريسة عدوها الخارجي وانما تكمن وراء ذلك اسباب داخلية وليدة اعوام كثيرة عبر مساحة زمنية واسعة فظهرت دول الطوائف ومنها اتفق وجهاء اشبيلية على استقلال مدينتهم فسدوا ابوابها اما المتنافسين على عرش

١. ينظر مقدمة ديوان ابن حمديس . ص ٢٠ .

٢. نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب . المقرئ . ١٦٤/٣ .

٣. ينظر الأدب الاندلسي موضوعاته وفنونه ص ٢١ .

٤. امراء الشعر العربي في العصر العباسي . انيس المقدسي ، ص ٩ .

٥. ينظر تاريخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبة ، ص ٤٨ ، ٥٣ ، ٥٧ ، ٦٢ ، ٩٠ .

٦. الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، ابن بسام ، ق ١ م ١٢/١ .

الخلافة في قرطبة وابتداء تمرد اشبيلية عام ٤١٤ هـ حين رفض الاشبيليون فتح ابواب مدينتهم امام القاسم بن حمود الذي اضطر الى ترك قرطبة.

وكانت الارستقراطية الاندلسية في القرن الخامس مثقفة تعنى بالعلوم والادب وكان بنو عباد من بين جميع الاسر الارستقراطية اوسعهم ثقافة واكثرهم ميلا للادب وعناية بالعلم ورعاية للاداب واهلها، فمعظم ملوك بني عباد وامرانهم كانوا من الشعراء والادباء. فالمعتمد دون شك شاعر من ابرز شعراء الاندلس في ذلك القرن^١

وكان ابن حمديس يحلم بلقاء المعتمد صاحب اشبيلية وتحقق له ذلك ، وظل زما يتقلب في نعماء القصر ورعاية المعتمد ، وكان المعتمد من الاسباب المهمة في شهرة ابن حمديس شاعرا اندلسيا. فلذا ظل وفيما له حتى انه زاره في سجنه وفي رواية اخرى اقام معه كما ستكشف المباحث الالية... وصار ابن حمديس ضمن طائفة الشعراء الذين يمثلون البيئة والمجتمع وتجمع لهم الحداثة والجدة.

المبحث الأول

البيئة والشاعر

لا يختلف اثنان على ان البيئة الاجتماعية والسياسية والجغرافية والاقتصادية تؤثر تأثيرا كبيرا في نفسية الشاعر واكتشافه وصقل مواهبه وتطويرها او تعويضها لذلك شاع القول : ((الشاعر ابن البيئة)) لذا اصبح من الضروري الاطلاع على العوامل الرئيسية التي اثرت في الشاعر : ((ابو محمد عبد الجبار بن ابي بكر بن حمديس الازدي الصقلي الشاعر المشهور. وحمديس بفتح الحاء المهملة وسكون الميم وكسر الدال المهملة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها سين مهملة. وصقلية بفتح الصاد المهملة والقاف بعدها جزيرة في بحر المغرب بالقرب من افريقية انتزعها الفرنج من المسلمين في سنة اربع وستين واربعمائة))^٢ بعد ان حكم العرب هذه الجزيرة بين عامي (٢١٩ - ٤٦٤)^٣ والى هذه الجزيرة ينتسب الشاعر ويسمى ((بالصقلي بفتح الصاد المهملة والقاف وبعدها لام مشددة))^٤.

وكانت مدينة سرقوسة وقطانية من نصيب ابن الثمئة وهو الذي استدعى النورمانيين (او النورمانديين) كما يذكر الدكتور جودة من ايطاليا ليسلمهم الجزيرة على اثر ما قام بينه وبين ابن الجواس من حروب وصقلية كلها لم تخضع لحاكم عربي واحد الا في ايام بني ابي الحسين الكلبيين الذين كانوا يتبعون الخلافة الفاطمية مع احتفاظهم بقسط من الاستقلال الذاتي في الجزيرة. ومنذ ان ابتداء الفتح النورماني الى ان انتهى كان الصقليون يهاجرون من بلدهم الى مصر والقيروان والاندلس. وكانت سرقوسة البلد الذي ولد فيه الشاعر قد قاومت طويلا ... وقد فارقتها الشاعر في ريعان شبابه^٥ وربما كان ذلك سنة ((احدى وسبعين واربعمائة وهو في سن الحداثة))^٦ كما ذكر الدكتور احسان عباس هذا التاريخ قبل قصيدة للشاعر استخرجها من كتابي ((الخريدة)) و ((الطراز)).

((وقد اختزنت ذاكرته ضروبا من الذكريات التي ظلت زادا لنفسه الحاملة بالعودة))^٧ فهو يقول:

احن الى ارضي التي في ترابها
كما حن قيد الدجي بمضله

ويقول ايضا :

صقلية كاد الزمان بلادها
ومنزله للتصابي قد خلت

وكانت على اهل الزمان محارسا
وكانوا بنوا الظرف عمارها^٨

١. ينظر محمد بن عمار الاندلسي ، ص ٨-٩ ، ١٤-١٦ .
٢. وفيات الاعيان - ابن خلكان ، ٤٢١/٣ ، ٤١٤ .
٣. ينظر في الادب الاندلسي ، ص ١٠٠ .
٤. وفيات الاعيان ، ٢١٤/٣ .
٥. ديوان ابن حمديس ، ص ١ ، ٥ .
٦. المصدر نفسه ، ص ١٦٧ .
٧. المصدر نفسه ، ص ٥ .
٨. المصدر نفسه ، ص ٤١٦ .

(أشار الدكتور احسان عباس انه رأى البيت الاخير في الوافي (للصبا قد خلت)) وكذلك يقول :

ولولا ملوحة ماء البكاء
ضحكت ابن عشرين من صبوة
حست دموعي انهارها
بكت ابن ستين اوزارها^٢
وسأتحدث عن هذا الحنين والشوق الى العودة وعن ذكرياته عن بلده واهله على نحو مفصل في اغراض شعره ((وقد امتازت صقلية بطبيعتها الفنية ووديانها الخصبة وانهارها الجارية واثارت في نفوس سكانها منذ القدم التغني بحياتها الريفية))^٣ ((وقد شهدت صقلية ايام الحكم العربي والنورماني نشاطا واسعا في الأدب والعلوم واجتذبت اليها مهاجرين من علماء افريقيا ومصر والاندلس وشعرائها))^٤.

((نحن لا نملك صورة واضحة عن الحال العلمية والادبية لسرقوسة ولكننا نتصور ان عبد الجبار وجد فيها من غير ريب ثقافته الادبية الأولى التي مكنته من قول الشعر في صباه))^٥.
((فقد عالج ابن حمديس نظم الشعر وهو صغير ولكنه بقى خامل الذكر))^٦ وقد نشأ ابن حمديس في عائلة و((عاش والده ابو بكر الى ما قبل ٤٨٠ للهجرة على وجه التقدير وربما توفي في سرقوسة وكان فيما يبدو رجلا تقيا محبا للخير ((ومضى حين مضى سالكا سبل ابائه))^٧ ان لعائلته تاريخا في البر والخير فضلا عن امتيازها بالروح الدينية وهذا ما يؤكد الشاعر في قصيدة يرثي فيها اباه حين ورد عليه كتاب والده في صقلية يحثه على البر ويتشوقه وهي قصيدة طويلة تشغل ثلاث صفحات من ديوانه يفتتحها بـ:

يد الدهر جارحه آسيه	ودنياك مفنية فانيه
سقى الله قبرابي رحمه	فسقياه رائحة غاديه
ومن كرم في العلى اول	وشمس النهار له ثانيه
ولو ان اخلاقه للزمان	لكانت موارد صافيه
تمثلت في خلدي شخصه	وقربت تربته القاصيه
قديم تراث العلى أسد	على النجم خطته ساميه
ومنها مضى بالرجاحة من حل	مه فما سر الهضبة الراسيه
مضى سالكا سبل آباءه	واجداده الغرر الماضيه
كرام تولوا بربب المنون	وانقوا مفاخرهم باقيه ^٨

واذا عرفنا ان عمه الشاعر اجرت مع ابنائها الى سفاقس وكان ابنها الحسن متطببا مثقفا اذ يقول فيه ابن حمديس ((بقراط دونه معرفة طيبة وفكره حسيبه)) وقد تزوج اخت الشاعر ونشأت علاقة حميمة بينهما^٩ لفسرنا ظهور الشعر الذي يتناول الصحة والهواء والمرض وطبائع الاشياء متأثرا بتلك الثقافة والعلاقة قال ابن حمديس في المتطبيب الحسن

وكان في درس العلوم وحفظها	بين الافاضل مبدأ الاعداد
ملاحمته عناصر المجد التي	طابت من الالباء والاجداد
ونجابه وقف عليهم فضلها	منقولة منهم الى الاولاد ^{١٠}

٩. المصدر نفسه ، ص ٢٧٥.
١٠. المصدر نفسه ، ص ١٨٣.
١. في الادب الاندلسي ، ص ١٠٠.
٢. ديوان ابن حمديس ، ص ٢.
٣. المصدر نفسه ، ص ٣.
٤. في الادب الاندلسي ، ص ١٠٠.
٥. ديوان ابن حمديس ، ص ٣.
٦. المصدر نفسه ص ٥٢٢ - ٥٢٤.
٧. المصدر نفسه ، ص ٣.
٨. المصدر نفسه ، ص ١٢٢.

وهي قصيدة طويلة تجعل القارئ للديوان من خلالها وخلال قصيدة رثاء ابيه يؤيد ما ذهب اليه الدكتور احسان عباس في قوله ((فهو من عائلة محافظة فيها وتر قوي من التدين ووتر آخر من الثقافة الدينية والحكمة ... وان روح المحافظة غلب عليه كما غلب عليه من الثقافة الحكيمة الطبية جعلته يتحدث عن الصحة والمرض وطبيعة الهواء والغذاء ...))^١

((لقد فرّ ابن حمديس الى الاندلس ونزل باشبيلية وظل فترة يحلم بلقاء المعتمد بن عباد))^٢ ومعظم المصادر تهتم بوصوله الاندلس لان الاهتمام باندلسية ابن حمديس كان شغلهم الشاغل. يقول الدكتور جودة الركابي ((وبعد ان حلت النكبة بوطنه رحل الى الاندلس سنة ٤٧١ هـ ولاذ بكنف المعتمد بن عباد باشبيلية واصبح شاعره))^٣

الا ان الدكتور احسان عباس فصل القول في رحلة ابن حمديس فذكر مرحلة وجوده في افريقية يصحب العرب ويتنقل في الصحراء وكانت افريقية طريقا الى الاندلس. وقد فضل ابن حمديس السفر البري على البحري الذي اصبح محفوفا بالخطر بعد ان استولت الاساطيل الرومية على السيادة البحرية غرب البحر المتوسط وقد قال الشاعر قصائد تؤرخ ذلك وتكشف عن اعتزازه بالغرب وتعبر عن غربته غربته في تلك البلاد ، ومنها قوله

اني لأبسط للقبول اذا سرت
مالي اطيّل عن الديار تغربا
ابداً ابدد بالنوى غرمي الى
كم من فلاة جبتها بنجيبه
خدي والقاها بتقبيل اليد
افبالتغرب كان طالع مولدي
أمل بأطراف البلاد مبدد
عن منسم دام وخطم مزيد

اصبح المنسم داميا لكثرة المشي وكذلك اشتد بياض اللعاب الخارج من فمها نتيجة التعب. بدأ الضعف يدب في جسم الدولة الاموية في الاندلس وبدأ رؤساء الطوائف يستقلون بالامارات التي يحكمونها ففرغوا بملوك الطوائف واصبحت المدن المهمة في الاندلس عواصم لهذه الدويلات ومن اهم هذه الدويلات التي لها صلة بالبحث والشاعر الدولة العبادية في اشبيلية ٤١٤-٤٨٤.^٤ ((ولم يكن التنافس بين هؤلاء الملوك سياسيا فقط بل كان عمرانيا وادبيا ، فقد رعوا حركة الادب وقربوا اصحابها وكانت اكثر عواصمهم أسواقا لها. وكان منهم ادباء وشعراء كالمظفر وابنه المتوكل والمعتمد بن عباد ملك اشبيلية))^٥

وقد وردت روايتان في اتصال الشاعر بالمعتمد الاولى تقول ان المعتمد لم يعبا به حتى قال ابن حمديس ((قنطت لخيبتني مع فرط تعبي وهممت بالنكوص على عقبي ، فاني لكذلك ليلة من الليالي في منزلي اذا بغلام معه شمعة ومركوب فقال لي : اجب السلطان فركبت من فوري ودخلت عليه فاجلسني على مقربه منه وقال لي : افتح الطاق التي تليك ، ففتحتها فاذا بكور زجاج على بعد ، والنار تلوح من بابيه وواقده يفتحها تارة ويسدها اخرى. ثم دام سد احدهما وفتح الاخر فحين تأملتها قال لي اجز (الاجازة في الشعر ان يقول واحد صدر بيت ويطلب من الاخر اكماله على نفس الوزن مع استقامة المعنى)

قال : انظرهما في الظلام قد نحما
قال : يفتح عينيه ثم يطبقها
قال : فابتزّه الدهر نور واحدة
فاستحسن ذلك وامر لي بجائزة سنه والزممني خدمته^٦

٩. المصدر نفسه ، ص ٣.

١٠. دائرة المعرفة الاسلامية : نقلها الى العربية محمد ثابت الفندي وجماعة ، ١/٤٥٠.

١. في الادب الأندلسي ، ص ١٠٠.

٢. ينظر ديوان ابن حمديس ، ص ٥.

٣. المصدر نفسه ، ص ١٠. فلاه : المفازة : الصحراء ، نجيبه : الفاضلة من الابل وهي عناقها التي يساق عليها ، منسم : طرف خف البعير

خطم : مقدم انفها وفمها ، مزيد : يخرج من فمها الزبد. ينظر (المنجد في اللغة مادة فلو ، نجب ، نسّم ، خطم ، زيد)

٤. ينظر في الادب الأندلسي ، ص ١٥

٥. المصدر نفسه ، ص ٢٦.

٦. ديوان ابن حمديس ص ٥٤٣ وينظر تاريخ الادب العربي ، احمد حسن الزيات ص ٢٣٥.

((والرواية الثانية تفيد ان المعتمد توجه إلى قرطبة وكتب الى الشاعر يأمره بالقدوم اليه فسافر ابن حمديس الى قرطبة ووافق ذلك مجيء ابي بكر بن عمار اسيرا مقيدا فلم يطق ابن حمديس البقاء في قرطبة وعاد من توه الى اشبيلية. والشك ما زال يخالج نفسه حول رغبة المعتمد في اقامته فكتب اليه قصيدة يقول فيها : ((فوق ممسكا او مسرحا)) فوق له المعتمد : بل تمسك بمعروف ووصله بمائة دينار)).^١ وقد استخرج احسان عباس هذه الرواية من كتاب الذخيرة حين خرج قصيدة للشاعر تبدأ :
ايا مولى الصنع الجميل اذ انشى
ويا مسدي النيل الجميل اذا صحا
يقول :

رفعت واصحابي الى ما يحده
علاك فوق ممسكا او مسرحا^٢

((ان المعتمد يشكل صفحات من المجد والترف والبطولة والاباء والشعر ولقد ورثت ابنته بثينة روحه الشاعرة فهو شاعر الملوك وملك الشعراء وورثت الشعر ايضا والجمال من امها الرميكية))^٣ وظل الشاعر يتقلب في نعم الملك حقه من الدهر ولما ((استولى ابن تاشفين على اشبيلية ونفي ابن عباد الى قلعة اغمات بمراكش لحق ابن حمديس سيده الى منفاه وبقي وفيها له ينظم الشعر الحزين))^٤ بينما تذكر دائرة المعارف الاسلامية ((ولما سجن المعتمد يتبعه الى سجنه عام ٤٨٤ (١٠٩١م)) ويرى الدكتور احمد امين ((انه كان مع ابن عباد في سجنه))^٥ واقامته في الاندلس لها الاثر الكبير في شعره لما امتازت به الاندلس من جمال الطبيعة بل كان للرجل الاندلسي صفات اشار اليها الكثير من المؤلفين العرب فابن غالب في رسالته فرح الانفس التي يذكرها المقري يصف لنا الاندلسي رجلا مهتما بلباسه وهندامه وطعامه محبا للشعر والغناء والموسيقى ، ونجده الى جانب هذه الحياة اللاهية حسن التدبير محبا للعلوم والفلسفة والعدالة. ان الذي لا شك فيه ان الاندلس قد تتمتع بصفات تتخذ من باخوس Bacchus آله الخمر واللهو كما تتخذ من ابولون Apollon آله الفن والشعر ولهذا فليس عجيبا ان نراه محبا للفن شاعرا ولاهيا عابثا ثم بعد هذا منصرفا الى التفقه في العلوم والتشريع والدين والفلسفة بتأثير الدافع الاسلامي وحب التأمل وفهم اسرار الحياة.

وقد عد ابن غالب من فضائل الاندلسيين اختراعهم للموشحات التي استحسناها اهل المشرق^٦ . ولا ولا شك ان كل العوامل التي ذكرت قد اثرت في شعر ابن حمديس وهو ما يتوضح لدى دراسة شعره. ((وبعد موت الملك العبادي انتقل ابن حمديس الى المهديّة قاعدة افريقية ثم انتقل الى جزيرة ميورقة حيث مات عام ١١٣٢ م / ٥٢٧ هـ))^٧ ويذكر ابن خلكان وفاة الشاعر ومكان دفنه بعد ان يشير الى عمه اذ بلغ الثمانين من العمر وبيده عصاه. فيقول ((توفي في شهر رمضان سنة سبع وعشرين وخمسائة بجزيرة ميورقة ودفن الى جنب قبر ابن اللبانة الشاعر المشهور وكان قد عمي وقيل ببجايه))^٨.

وفي ديوانه اشار الى عمره وعمه اذ يقول :

كأنها وهي كفي إذ اهش بها
على الثمانين عاما لا على غنمي^٩

ان التنقل المستمر ومعايشة النكبات التي حلت بوطنه جعلت الشاعر يقول كثيرا من الشعر الذي يصف فيه غربته وحنينه الى بلده ويغلب عليه طابع الحزن والتشاؤم. وقد ترك ابن حمديس ديوان شعر ((صبغه لنفسه كما يذكر ابن ظافر الازدي وكان موجودا في ايدي الناس ويبدو انه عند جمع ديوانه ذكر مناسبات القصائد بدقة وأمله على احد الرواة))^{١٠}.

١. المصدر نفسه ، ص ١١٠ - ١١١ .
٢. الادب الاندلسي ، موضوعاته وفنونه ، ص ١٧ .
٣. في الادب الاندلسي ، ص ١٠٠ .
٤. دائرة المعارف الاسلامية ، ١٤٥/١ .
٥. ظهر الاسلام د. احمد امين ، ١٨٣/٣ .
٦. ينظر في الادب الاندلسي ، ص ٤٤ .
٧. تاريخ الادب العربي حنا الفاخوري ، ص ٨٤١ .
٨. وفيات الاعيان ، ٢١٥/٣ .
٩. ديوان ابن حمديس ، ص ٤٨٢ .

((وقد قام ((اقاري)) بنشر ديوان شعره الذي يمثل حياته في صقلية وحينما كان في بلاط ابن عباد في اشبيلية))^٢.
وقد ((طبعه بالرم سنة ١٨٨٣م وفي روما سنة ١٨٩٧م وفي بيروت سنة ١٩٦٠م))^٣

المبحث الثاني

اغراض شعره

يقصد بالغرض الفن الذي يتناوله الشاعر واذا عرفنا ((ان الادب الناجح هو الذي يكون صدى للبيئة وتصويرا لجوانبها العديدة من ثقافية واجتماعية وجغرافية وسلوكية))^٤ وبالتالي سيصبح معبرا عن تجارب الشاعر ومعاناته واحلامه وطموحه التي تتأثر حتما بعوامل البيئة المتنوعة ومن اكبر الاغراض الشعرية التي عالجه ابن حمديس وجدير بالابتداء به قبل غيره هو :-

١. قوة الحنين والتفجع على ضياع الوطن : لقد انشغل ابن حمديس بوطنه ارضا واهلا ورمزا ، يذكره بوطنه المنكوب فحين رأى زهرة النيلوفر المشهورة في صقلية هتف قائلا :
هو ابن بلادي كاغترابي اغترابه
كلانا عن الاوطان ازعجه الدهر^٥ ،

فهو لم يغادر البلاد راغبا في الاغتراب وانما ازعجه الدهر حين استطاع النورمانديون احتلال بلاده وساموا اهلهما الهوان وقد تميز ابن حمديس على شعراء صقلية والقيروان والاندلس الذين عالجوا هذا الموضوع لان احساسه بالوطن قوي الجذور راسخ لا يموت فقد ظل غريبا حيث حل لتجسم الوطن خلال مشاعره ، ولم يقنع بما دعى اليه شاعر صقلي آخر هو (هو ابو العرب الصقلي) الذي برر غربته حين قال :

ان كان اصلي من تراب فكلها بلادي وكل العالمين اقاربي^٦
وربما كان هذا السبب الذي جعل ابن حمديس يفتخر ببلده ولم يفتخر بقبيلته الازدية ففي قصيدة بلغت ٤٨ بيتا يقول :

نحن بنو النحر الذين ثغورهم اذا عبت حرب لهم تتبسم
ومن حلب الاوداج يغذى فطيما بحجر من الهيجاء ساعة يفطم^٧
(وهنا يقصد ان النوق التي تغذي الفطيم تمتاز بحسن الحال والسمنة)
وذكر صقلية وحده يثير في نفسه الأسى ويهيج لنفسه تذكرها فصقلية موطن الصبا اذ كان في العشرين ولم يتخلف عن مدح اهلهما وصقلية جنة واليوم قد بلغ الستين وهو غريب يدفع اوزار الرحيل عنها بهذا الألم والاحساس القاتل بالغرابة يقول :

ذكرت صقلية والاســــى
ومنزلة للتصابي خلــــت
فإن كنت اخرجت من جنــــة
ضحكت ابن عشرين من صبوــــة
يهيج للنفس تذكــــارها
وكان بنو الظرف عمــــارها
حسبت دموعي انهارها
بكيت ابن ستين اوزارها^٨

وفي قصيدة يصف الشيب ويعبر عن تشوقه الى صقلية فهو يفتتحها بقوله :

١٠. المصدر نفسه ، ص ٢٢.
١١. ظهر الاسلام ، ص ١٨٣.
١٢. في الادب الاندلسي ، ص ١٠٠.
١. الادب الاندلسي ، موضوعاته وفنونه ، ص ١٠.
٢. ديوان ابن حمديس ، ص ١٨٥.
٣. المصدر نفسه ، ص ١٧ - ١٨.
٤. المصدر نفسه ، ص ٤١٣.
٥. المصدر نفسه ، ص ١٨٣.

لقد اظلم الشيب لما اضاء

نفي هم شيبى سرور الشباب
ثم يذكر صقلية :

يطيب طيب تراها الهوواء
تزودت في الجسم منها ذماء
كما تتمشى الذئاب الضراء
وزرت بها في الكناس الطباء^١

ولا تعجبي فمغاني الهوواء
ولي بينها مهجة صبوه
ديار تقشت اليها الخطوب
صبحت بها في الغياض الاسود

ثم يتحول الى محاوراة البحر والتفاخر عليه :

وراءك يا بحر لي جنة لبست النعيم بها الاشقاء

وبلغ به الشوق حدا حتى انه اصبح مستعداً ان يركب هلالا او زورقا يشبه الهلال ليعانق صقلية وذكاء:
فلو انني كنت أعطى المنى
ركبت الهلال به زورقا
ويتساءل لماذا كتب عليه التعرب اهو طالعة النحاس انه يتنقل من مكان لآخر ولكنه يبقى غريبا
فاحساسه بالغربة قاس وثابت:

افبا لتغرب كان طالع مولدي
أمل بأطراف البلاد مبدد
عن منسم دام وخطم مزبد^٢

مالي اطيل عن الديار تغربا
أبدا أبدد بالنوى عزمي الى
كم من فلاة جبتها بنجييه

انه يبكي دوما صقلية التي كاد الزمان بها وينفجر ألما حين يرى الروم يسومون اهل بلده ذله بعد ان
كانت حارسة للناس ذات عزة:

وكانت على اهل الزمان محارسا
وكان بقومي عزه متقاعسا
يزورون بالديرين فيها النواوسا^٣

صقلية كاد الزمان بلادها
ارى بلدي قد سامه الروم ذلة
ويذكر مسقط رأسه سرقوسة:
واضحت لهم سرقوسة دار منعة

وتشفع لاهله كلما احتاجوا الى ذلك فروابطه قوية باهله فحين مدح الحسن بن علي والي سفاقس قال:

وما سفاقس الا بلدة بعثت
واهلها اهل طوع لا ذنوب لهم
وانما دافعوا عن حتف انفسهم
أي اذا قطعتم السيوف الهندية (السيوف البتر) التي تكون شديدة القطع.

وحين مدح الامير ابا الحسن علي بن يحيى ذكر ردة اهل سفاقس الى اوطانهم ورجوع الآباء منهم الى
ابناء :

اخذت سفاقس منك عهد امان وردت أهليها الى الاوطان^٤

كما كان يخاطب اهل صقلية ويدعوهم الى الجهاد المتمثل بالدفاع عن صقلية :

٦. المصدر نفسه ، ص٣. الطيب : العطر ، والثرى : الارض. ذماء : بقية الروح ، الخطوب . المصائب ، الغياض : الاجمة او مكان اقامة الاسود ، والكناس : بيت الصبي الذي يستتر فيه النظر. ينظر (المنجد في اللغة مادة ذما ، خطب ، غيض ، كنس)

١. ديوان ابن حمديس ، ص٤. ذكاء : اسم علم للشمس (المنجد في اللغة مادة ذكا)

٢. المصدر نفسه ، ص١٦٨.

٣. المصدر نفسه ، ص٢٧٥ - ٢٧٦. الناوس : جمع نواويس : مقبرة النصارى : حجر منقور تجعل فيها جثة الميت ، (المنجد في اللغة مادة نوس)

٤. المصدر نفسه ، ص٢٥٠.

٥. المصدر نفسه ، ص٤٩٩.

بنو الثغر لستم في الوغى من بني امي
دعوا النوم اني خائف ان تدوسكم
فردوا وجوه الخيل نحو كريهة
هكذا كان الوطن يعيش معه اينما حل او ارتحل ، فقد تفوق في هذا المجال على شعراء صقلية
والقيروان والاندلس ، وابن حمديس ظل قوي الجذور والحنين الى وطنه .

٢. المدح : هو ذكر محاسن الممدوح ومناقبه والهجاء هو ذكر مساوي المهجو للنيل منه. وقد قالوا ان
ابن حمديس لا يحسن الهجاء فأجابهم:

يقولون لي لا تجيد الهجاء
فقالوا لأنك ترجو الثواب
عفاف اللسان مقال الجميل
ومالي وما لامرئ مسلم

ويرى الدكتور احسان ان قوله ((ومالي اجيد المديح)) كانه يعيد قول العجاج الراجز : ((هل رايت
بانيا لا يحسن ان يهدم)) ولكنه ربط قول المديح دون الهجاء بفلسفة اخلاقية^٢. ولا ريب في ذلك فقد نشأ
في عائلة فيها وتر قوي من التدين فضلا عن ان اباه اشتهر بالبر و الاحسان والعفة كما مر سابقا.
لقد مدح ابن حمديس الكثير وقصائده في المدح طويلة ولاسيما في المعتمد بن عباد ملك اشبيلية
ولكن صقلية واهلها كانت تجد طريقها في ثنايا مدحه. في المغرب مدح تميما امير المهديّة وتفجع على
دخول الروم صقلية وبلغت قصيدته (٦٢) بيتا ومطلعها :

تدرعت صبري جنة للنواب
فان لم تسالم يا زمان محارب
تدرعت صبري سترا للنواب ، أي سرا للمصائب

وهي قصيدة طويلة من صفحة ٢٨ الى ٣٣.

وفي مدائحه لا يختلف كثيرا عن شعراء هذا الغرض اذ ينسب الصفات الجميلة والفريدة الى ممدوحه
وخاصة اذا كان ملكا فهو اهل الكرم والشجاعة ، ومصدر الجمال والفتنة ، وهو حامي الاسلام وهو
مقدام للاسد.

هو الذي ازال الرمذ عن ابصارهم بمحياه وهو مؤيد من الله الذي قرّب له ما بعد ، وهو ليس طارئا على
الملك وانما هو قد ورث الملك ابا عن حد ، وممدوحه الاوحد في كل شيء وهو العادل تقتدي الأملاك
في العدل به ، وهو يقتدي بهذا العدل بأبيه وجده.

ففي احدي قصائده في مدح المعتمد يقول:

ملك ان بدأ الحمد به
معرق في الملك موصولا به
من غدا في كل فضل أوحدا
من حمى الاسلام من طاغية
وكست اسيافه عاريه
ذو يد حمراء من قتلهم
تقتدي الاملاك في العدل به
كيف لا يملى على الناس العلى
عارض ينهل بالبوصل اذا
وهصور يفرس القرن اذا

ختم الفخر به ما يبتدى
شرف المجد ومحض السؤدد
ذلك الاوحد في العدد
كان منه في المقيم المقعد
ذل اهل السبت اهل الاحد
وهي عند الله بيضاء اليد
وهو فيه بأبيه يقتدي
مستمد من على المعتضد
كان للعارض كف الجلمد
جرد المرهف فوق الاجرد

٦. المصدر نفسه ، ص ٤١٦.

١. ديوان ابن حمديس ، ص ٩٤.

٢. ينظر المصدر نفسه ، ص ٢٠.

٣. المصدر نفسه ، ص ٢٨.

فنداه البحر والبحر متى

تعصف الريح عليه يزبد^١

ان المبالغة واضحة في الابيات وقد كان تشبيه الممدوح بالبحر حين تهب عليه الريح فهيج وترطم امواجه فيظهر الزبد والممدوح عندما يتطلب منه العون يهيج في كرمه حتى يغرق سائله بكرمه، وفي قصيدة اخرى يقول:

جلا محياك عن ابصارنا الرمدا
وجاء يحمل منك الطرف اربعة

وقرب الله من مرآك ما بعدا
البدر والطود والداماء والأسدا^٢

فهو جميل ومنير كالبدر وثابت كالطود (الجبل) وكريم كالداماء (البحر) وقوة وشجاعة كالأسد.

٣. الرثاء: اذا كان المدح هو ذكر محاسن الممدوح وهو على قيد الحياة فالرثاء هو ذكر محاسن الميت ومناقبه والتفجع عليه. ويمكن ان نجد رثاء المدن في شعر ابن حمديس حين بكى صقلية وسرقوسة وسفاس كما مر سابقا.

لقد رثى من مات من اهله كوالده وابن اخته وجاريته جوهرة التي غرقت فضلا عن رثاء بعض الامراء.

ان طبيعة الغرض دفعته الى التأكيد على ان الموت امر حتمي فما على الانسان الا ان يخلد ذكره بالعمل الصالح ويؤمن بوجود الآخرة كما دفعته طبيعة الغرض الى الشكوى من الزمان ، انه يتفجر ألما وربما وجد في الرثاء رثاء لغربته ومعاناته. وهذا ما تجسد في رثاء ابيه وقد ورد عليه كتاب والده من صقلية يحضه على البر ويتشوقه:

يد الدهر جارحة آسيه
وربك وارث اربابها

وأرأيت الحمام يبيد الانام
وكل امرئ قد رأى سمعه

وأرواحنا ثمرات له
وعارية في الفتى روحه

وطنيك مفنية فانيه
ولا بد من ردة العاربه

ومحيي عظامهم الباليه
فسقياه رائحة غاديه

سقى الله قبرابي رحمة
ومنها:

ورحت الى غربة مرة

وقد اودعتني آراؤه

سمعت مقالة شيخي النصيح وارضي عن أرضه نانيه^٣

من الصياغات الجميلة انه شبه الموت بالافعى اذا لدغت شخصا لا تنفعه التعويذة (راقبه) كما انه جاء بتعبير جديد حين قال (رأى سمعه) فالرؤية للبصر ولكنه نقلها الى السمع. وفي رثائه للامراء كان يبالغ الى درجة انه كاد لا يصدق نزول الموت بالامير ويتعجب متسائلا كيف يمكن للقبر ان يحتوي البدر او الجبل؟

قال في رثاء الشريف الفهري علي بن احمد الصقلي :

اذ البدر يطوي في ربوع البلا لحداء
حملنا على التكذيب تصديق نعيه

ام الطود حطوا في ثرى القبر اذ هذا
وسدت له الاسماع وانصرفت صدأ^٤

٤. المصدر نفسه ، ص ١٤٠. معرق الملك : عريق الجنور . اهل السبت : اليهود. اهل الاحد : النصارى. القرن : السيد الشجاع المرهف: السيف الاجرد الفرس قصير الشعر. الندى : الكرم (المنجد في اللغة مادة قرن ، جرد)

٥. المصدر نفسه ، ص ١٧٠.

١. ديوان ابن حمديس ، ص ٥٢٢ - ٥٢٣.

٢. المصدر نفسه ، ص ١٦٣.

٤. الوصف : ويعبر هذا الغرض عن اهم الاغراض التي اشتهر بها ابن حمديس فمعظم الدراسات قد عرفته في هذا الغرض واهتمت بتسميته شاعر الوصف كما اهتمت باندلسيته فهي شرع الى القول انه من شعراء الاندلس. وابدع في وصف الطبيعة بل تغلغل وصف الطبيعة في قصائده التي نظمها في اغراض اخرى مثل المدح والغزل.

((لقد كان لنشأة ابن حمديس في جزيرة صقلية ذات الطبيعة الوارفة الظلال اثر في ظهور فن الوصف في شعره وعنايته به))^١ ثم جاءت الطبيعة الاندلسية الخلافة لترهف حسه بها واكثر شعر الوصف مقطعات وقصائد قصيرة.

والوصف موضوع كبير في ديوانه^٢ بل ((ينساب في جملة اغراضه فيصف الطبيعة في الغزل ويصور محاسن الحبيبة على مثال محاسن الطبيعة ويصفها في المدح بل اكثر شعره المدحي مصبوغ بصبغته الطبيعية ويصورها قوية في الحماسة والفخر وحزينة باكية في الرثاء))^٣ على سبيل المثال :

فكان حدة طرفه وفؤاده	من أذنه نقلت الى عرقوبه
ألقى على الأرض العريضة ارضه	ثم اشتكى ضيقا لها بوثوبه
وجرى ففات البرق سقا وأنهى	من قبل خطفته الى مطلوبه
فلشبه دهمة بدهمة ليلاه	امسى يفتشه بفرط طيبه
ويرش سيفي بالنجيع مصارعا	للاسد يسكنها بذيل عسيبه
ومهند مثل الخليج تصفقت	طرق النسيم عليه من تشطيه
وكانما في مائه وسعيه	نمل يسير بسبحه ودبيبه ^٤

فنحن نرى الارض ، البرق ، الليل ، الاسد ، النمل ، الخليج ، النسيم من مظاهر الطبيعة في غرض غير الوصف وانما الغزل.

وفي مطلع مدحه للامير يحيى بن تميم بن المعز يقول :

شهاب في دجي الليل تقب	أم سراج ناره ماء العنب ^٥
في بيت واحد نجده يذكر الشهاب والليل وسراج ونار وماء العنب ويفتح قصيدته في رثاء ابن اخت له:	خطب يهز شواهد الاطواد
ويرى الدكتور سيد نوفل ((ان وصف الطبيعة عند ابن حمديس وثيق الصلة بوصف الخمرة وما علينا الا ان نقرأ ديوانه لنراه يشرب عند طلوع الفجر في روضة فواحة الزهر مخضلة ويشرب قبل ان ترتشف ريق الغوادي في ثغور الاقاح ، ويشرب على ايامض برق كأنه مصباح شب في سواد الليل)) ^٦	ففي قصيدة يفتتحها بقوله :

طرقت الليل ممدود الجناح	مرحبا بالشمس من غير صباح
-------------------------	--------------------------

يقول :

علل النفس بريحان وراح	وأطع ساقياها واعص اللواح
وادر حمراء يسري لطفها	شكرها من شمها في كل صاح
لا يغرنك منها خجل	انها تبديه في خد وقصاح
واغلها بالماء تعلم منهمها	ان بين الماء والنار اصطلاح

٣. في الادب الاندلسي ، ص ١٠٠.

٤. ينظر ديوان ابن حمديس ، ص ١٩.

٥. في الادب الاندلسي ، ص ١٠٤.

١. ديوان ابن حمديس ، ص ١١

٢. المصدر نفسه ، ص ٤٥.

٣. المصدر نفسه ، ص ١١٩. الاطواد : جمع طود : وهو الجبل .

٤. شعر الطبيعة في الادب العربي ، د. سيد نوفل ، ص ٢٧٠ - ٢٧١.

٥. ديوان ابن حمديس ، ص ٨٢ - ٨٤.

وإذا الخمر حماها صرفها
 خلني افن شبابي مرحا
 انما ينعم في الدنيا فتسى
 فاسقتي عن اذن سلطان الهوى
 فالقضيب اهتز والبدر بدا
 والثريا رجع الجو بهما
 ارضع الغيم لبانا بأنسه
 كل غصن تعتري اعطافه
 ترك المزج حماها مستباح
 لا يرد المهر عن طبع المراح
 يدفع الجد اليها في المزاح
 ليس يشفي الروح الاكأس راح
 والكثيب ارتج والعنبر فاح
 كابن ماء ضم للوكر جناح
 فشربت فيه قامات الملاح
 رعدة النشوان من كأس اصطباح^١

((وهكذا فقد اوجز الشاعر في هذه الخمرية جمال الطبيعة المتنوع ونلاحظ ان الشاعر يقبل على الطبيعة بثقافته الشعرية فيتأملها ويستخرج من المعاني اروعها والى جانب هذا الوصف تتجلى فيه الطبيعة حية مشخصة تبدو عناية الشاعر بتصوير الطبيعة اللامعة على مثال ابن المعتز بالشكل وتجميله))^٢
 كقوله :

اشرب على بركة نيلوفر
 كأنما ازهارها اخرجت
 محمرة النوار خضراء
 السنة النار من الماء^٣

ويمكن تقسيم غرض الوصف عنده الى :

١. وصف الطبيعة من انهار وغدران وسواق واشجار وازهار كالنيلوفر والشقائق والفواكه كالنارنج والسحاب والبرق والرعد والبحر :

نشر الجو على الارض برد
 لؤلؤ اصدافه السحب التي
 ذوبته من سماء ادمع
 فجرت منه سيول حولنا
 أي در لنحور لو جمد
 انجز البارق منها ما وعد
 فوق ارض تتلقاه بخد
 كثعابين عجال تطرد^٤

وهي قصيدة طويلة ترى فيها الطبيعة في صور متحركة كما تلمح التشبيه الرائع في البيت الاخير فالثعابين عندما تمشي تتلوى فكيف بها اذا كانت مستعجلة فهذه السيول المائية حوله تتفرع وتجري بسواق ملتوية كالثعبان.

٢. وصف الحرب وآلاتها من سيوف ودروع وسفن قال يصف سيفا :

ومهند عجن الحديد لقينه
 روح اذا اخرجته من جسمه
 في الطبع نيران ملئن رياحا
 دخل الجسم فاخرج الارواح^٥
 فهو يرسم صورة فنية معبره ، جعله من خلالها كانه نار في بطشه وروح تنتزع الارواح من اجسادها ، وهذا بلا شك تصوير دقيق وجميل يوحي بالقوة والاجلال .

٣. وصف الحيوانات والحشرات كالاسد والناقة والزرافة والعقرب والبق والبعوض والذباب.

قال يصف عقربا في قصيدة طويلة اذكر منها :

ومشرعة بالموت للطعن صعده
 فلا قرن إن نادته يوما يجيبها

١. في الادب الاندلسي ، ص ١٠٣ .

٢. ديوان ابن حمديس ، ص ٥ .

٣. المصدر نفسه ، ص ١١٧ .

٤. المصدر نفسه ، ص ٩٤ .

مداخلة في بعضها خلق بعضها
تذيق خفي السم من وخز ابرة
كجوشن عظم ثلمته حروبها
اذا لسبت ماذا يلاقي لسببها^١

٤. وصف مناظر الصيد ومجالس الشرب والخمر فقد قال في الصيد.

لما رأيت الصبح قد تبدي
كانه في الشرق سيل مددا
اركبت نفسي شوذفا معدا
يهد أركان الطيور هدا
بمخلب تبصره مسودا
وفتية يكسيون المجدا
ويلبسون من حديد سردا
صادوا وصادوا ما يجوز العدا
فمن فتى يقدح منه زندا
وحاطب طلحا له ورندا
ومشتو يوسع نارا وقدا^٢

٥. وصف الادوات الحضارية كالقلم والشمعة

قال في شمع :

قناة من الشمع مركوزة
تحرق بالنار احشائها
تمشى لنا نورها في الدجى
عجبت لأكلة جسمها
لها حربة طبعت من لهب
فتدمع مقلتها بالذهب
كما يتمشى الرضى في الغضب
بروح تشاركها في العطب^٣

٦. وصف البرد والطبيعة الصناعية :

وفي موضوع الثلجيات (القصائد التي تصف نزول الثلج والبرد) يتفرع موضوع البرد....
وهو قليل في الشعر الاندلسي و اشهر من عرض له هو الشاعر ابن حمديس الصقلي في قصيدة بلغت
عشرين بيتا خص البرد منها ببضعة ابيات^٤، وقد مرت الابيات في وصف الطبيعة.
(وابن حمديس احد اولئك الشعراء الذين جمعوا بين وصف الطبيعة الطبيعية والطبيعة الصناعية
كالقصور والتماثيل والرسوم)^٥ وقد وصف قصرا ابتناه المنصور بن أعلى الناس ببجايه وعلى البركة
اشجار من الذهب والفضة واسود من المرمر يخرج من افواهها الماء كما يخرج من اطراف تلك
الاشجار فيسمع لها خرير وصفير .

قال :

وضراغم سكنت عرين رناسه
فكأنما غشى النضار جسومها
أسد كأن سكونها متحرك
وتذكرت فتكانها فكأنما
تركت خرير الماء فيها زئيرا
واذاب في افواهها البلورا
في النفس لوجدت هناك مثيرا
اقعت على ادبارها لتثورا
نارا والسنها اللواحس نورا^٦

٥. المصدر نفسه ، ص ٤٢.

١. ديوان ابن حمديس ، ص ١٢٧ - ١٢٨.

٢. المصدر نفسه ، ص ٢٤.

٣. ينظر الادب الاندلسي موضوعاته وفنونه ، ص ٣٣٤.

٤. في الادب الاندلسي ، ص ١٠٤.

٥. ديوان ابن حمديس ، ص ٥٤٧.

ويبدو ان الاكثار من ذكر الطبيعة عند الشعراء الاندلسيين عامه هو محاوله للترويح عن النفس في بعض الاحيان ، إذ يعتقد الدكتور مصطفى الشكعة ان ((شعر الطبيعة كان مهربا للشعراء وهم في اقصى حالات التفجع والتوجع وقد التفت شعراء الاندلس الى هذا المنطق فسجلوا كثيرا من قصائدهم ومقطوعاتهم التي مزجوا فيها الحسرة والألم بذكر الطبيعة الجميلة وما حوت من جمال وجلال واشراق وتبسم فر بما ظنوا ان في اشراقها مخرجا لمصائبهم وفي بسمتها برءا لمواجعهم))^١

٥. الغزل :

ترك ابن حمديس مقطوعات وقصائد في الغزل ويغلب على غزله وصف محاسن الحبيبة من عيون وخدود وشعر كما نجد اجزاء الطبيعة منتشرة في تشبيهاته وهو يشكو، كما ان الشاعر العذري يتلذذ بتلك الشكوى من العذال والوشاة وظلم الحبيب فيبدي استعداده للتضحية بالروح من اجل ارضاء الحبيب :

ولو بت صبا ما عنفت على صب
مصورة بالعين في حبة القلب
اما يتوقى الموت من طرف العضب
تقول لتربيتها وما لوعة الحبيب؟
لجدت على الصادي بماء اللمى العذب
وهل تحدث الخمر الحمار بلا شرب^٢

أذبت فؤادي يا فديتك بالعتب
وقاتلتني بين الغواني كأنها
حياة ولكن طرفها ذومنيّة
شكوت اليها لوعة الحب فانتنت
فقبل : عذاب لو احطت بعلمه
وقال الهوى اذ لم تذوقيه ضره
وفي اخرى يقول

لا الجسم يحمله ولا القلب
حتى تمزق بيننا القرب
بالصبر عنك ترحل الركب
في العين منك جمانه رطب
فيموت بعد حياته الحبيب
قامت على ساق له حرب
صلح الجموح وذل الصعب^٣

فارقتم وفراقكم صعب
قتل البعاد فما اشير به
امقيمة والركب مرتحل
كم ذا يزور البحر بحراسي
ما كان نأتي عن ذراك قلبي
اني لأرجو السلم من زمن
والدهر ان يسعد فربتما

وفي بعض الاحيان كان يفتتح بعض القصائد بالغزل الطلي لأنه نشأ عربي الاصل في موطن اعجمي يحارب العروبة وقد صاحب في المغرب عربا جابوا القفار مما أدى الى ازدياد تعلقه بالعرب وبينتهم وما يتصل بهم من الوان التفكير والاساليب وبالغ في الوقوف على الاطلاق^٤ ، ((وغزله احيانا بالغ الرقة ولكن العاطفة فيه فاترة))^٥

٦. الفخر : لم يفتخر ابن حمديس بقبيلته الازدية وانما افتخر ببلده ووصف اهل صقلية بالبحار في الكرم وبالاسود في الشجاعة :

نحن بنو الثغر الذين ثغورهم
اذا عبت حرب لهم تتبسم
ومنها :
لنا عجز الجيش اللهم وصدرة
بحيث صدور السمر فينا تحطم

٦. الادب الاندلسي موضوعاته وفنونه ، ص ٣٥٣.

١. ديوان ابن حمديس ، ص ١٨.

٢. المصدر نفسه ، ص ٨.

٣. ينظر في الادب الاندلسي ، ص ١٠١.

٤. ديوان ابن حمديس ، ص ١٩.

يضاعف ان عد الفوارس عدنا
قال في العرب الذين صحبهم في الفلاة بالمغرب :
رعى ورق البيض الذي زهره دم
جبابرة في الروع تعدو جيادهم
ترحل من آجامها الاسد خيفة
وافخر باهل بلده سرقوسة فقال :
ارى بلدي قد سامه الروم ذلّة
وكانت بلاد الكفر تلبس خوفه
عدمت اسود منهم عربيه
فلم ترى عيني مثلهم في كتيبة
ومنها
ومن عجب ان الشياطين صيرت
وأضحت لهم سرقوسة دار منعة
مشوا في بلاد اهلها نحت ارضها
ولو شققت تلك القبور لانهضت

كان الشجاع الفرد فينا عرمرم^١
بهم ورقا عن زهرة الروض يبسم
بهم فوق ما سح الوشيج المقوم
اذا نزلوا للرعى فيها وخيموا^٢
وكان بقومي عزة متقاعسا
فأضحى لذاك الخوف منهن لابسا
ترى بين ايديها العلوج فرائسا
مضارب ابطال الحروب مداعسا
بروج النجوم المحرقات مجالسا
يزورون بالديرين فيها النواوسا
وما مارسوا منهم ابيا ممارسا
اليهم من الاحداث اسدا عوابسا^٣

وافخر بعائلته كما ذكرت في الرثاء فهم قد توارثوا الاخلاق الفاضلة والعلم أبا عن جد وافخر بعفة لسانه كما مر ذلك في غرض المدح حين قالوا انه لا يحسن الهجاء.

٧. الزهديات : زهد وزهد وزهد - زهدا في الشئ وعنه رغب عنه وتركه ومنه ((زهد في الدنيا))^٤ أي تخلى عنها للعبادة بمعنى انه يتخلى عن ملذاتها ويقنع بالقليل ولا يتهالك على الدنيا ، وانما يتزود بالعمل الصالح للاخرة ويكثر من العبادة ... لقد مر بنا كيف نصحه والده ان يمضي على خطى آباءه وعلى خطى عائلته التي بها وترقوي من التدين لذا لا نستغرب ان نجد هذا الغرض في قصائد ومقطوعات لابن حمديس فهو يدعو الى الاعتاض بالموت الذي لا مفر منه وان هذه الدنيا فانية تعقبها دنيا خالدة فعلى الانسان الا تغره الدنيا ويسوق البراهين على صحة هذه الافكار فيسأل أين الشباب؟ وهل يمكن للانسان ان يسترده؟ لذا يرد الله ان يدرأ عنه العقاب. قال ابن حمديس في معنى الزهد:

وعظت بلمتك الشائبه
وسبعين عاما ترى شمسها
فويحك هل عبرت ساعة
وغرتك دنياك اذ فوضت
اصاحبة خلقتها؟ انها
اما سلبت منك برء الشباب؟
وان دقائق ساعاتها
وان المنية من نحوها

وفقد شببتك الذاهبه
بعينك طالعة غاربها
ونفسك عن زلة ناصبه
اليك امانها الكاذبه
باحداثها بنست صاحبها
فهل يستبرد من السالبه
لعمرك أكلة شاربه
عليك بأظفارها واثبه^٥

وهو يعترف بأن ذنوبه اتقلت ظهره فكلما تاب ساعة عاد في ساعة اخرى لارتكاب الذنوب ويعقد رابطة جميلة بين ما يأكل وبين العمر الذي يأكله ويتضرع الى الله طالبا الرحمة مما جناه لسانه :

٥. المصدر نفسه ، ص ٤١٣ - ٤١٤ .

٦. المصدر نفسه ، ص ٤١٢ .

١. المصدر نفسه ، ص ٢٧٥ - ٢٧٦ .

٢. المنجد في اللغة - مادة زهد

٣. ديوان ابن حمديس ، ص ٤٠ - ٤١ .

بأن عذري فكيف يقبل عذري
لضروب من سوء فعلي وهجري

يا ذنوبي ثقلت والله ظهري
كلما تبت ساعة عدت اخرى
ومنها

غير ان الزمان ياكل عمري
وتناجت به وساوس فكري^١

وانا حيث سرت اكل رزقي
واجرني مما جناه لساني

٨. الحكميات :

((هو شعر مصوغ في شكل نصائح خلقية ووصايا))^٢

مثل قوله في كتمان السر :

مهذباً أخذاً بالحزم يسترها
عن اللسان الذي للسمع ينشرها^٣

ان السرائر عورات وان لها
فاطوا السرائر في الجنين تحجنها
وقال في القصد والتدبير :

واقصد بأمرك في التدبير مقصده
ولو خلطت به الكافور افسده^٤

لا تخرج الشئ عن شئ يوافقه
فالد من فيه لنبت الارض مصلحة
وقال في الصحة والمرض:

محيطا بما يجريه فينا التنفس
يذم به العقبى جهول وكيس

اذا ما الهواء اعتل كان اعتلانا
وربما كان الغذاء مضرة

وامراضنا اسبابهن كثيرة
ويلاحظ على شعره في الزهد والحكميات بسيط العبارة واضحا فهو يقترب من اسلوب ابي العتاهية او
ما يسمى بالسهل الممتنع^٥

المبحث الثالث

مميزات شعره

لقد مر الشعر في الاندلس بأطوار ثلاثة :-

الطور الاول : طور المحاكاة للشعر في المشرق ((اذ كانت الفكرة الاساسية عند من يريد ان يكتب شعرا
ان يكون على نمط الشعر من القدماء او العباسيين ... فالشاعر لم يحاول ان يخضع الشعر العربي
لشخصيته بل رأيناه هو يخضع له ، فهو يخضع لموضوعاته المعروفة في المشرق كما يخضع لأفكاره
ومعانيه واخيلته واساليبه))^٦

الطور الثاني : هو الحقبة التي امتدت خلال القرن الخامس وفيها اخذ الشعراء يصدرن عن حاضرهم
ويمثلون بينتهم ومظاهرها مع الاخذ يحظ من التقليد ويمثل شعراء ملوك الطوائف الذين يرجعون طرافة
البيئة الى معاني الشعراء السابقين وفي نهاية هذا القرن تم انتصار الجديد واتسعت حركة الموشحات.

٤ . المصدر نفسه ، ص ٢٦٥ - ٢٦٦ .

٥ . ديوان ابن حمديس ، ص ١٩ .

٦ . المصدر نفسه ، ص ٢٦٣ .

٧ . المصدر نفسه ، ص ١٦٧ .

١ . ديوان لبن حمديس ، ص ٢٧٣ .

٢ . ينظر تاريخ الادب العربي - حنا الفاخوري ، ص ٨٤١ .

٣ . الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، د. شوقي ضيف ، ص ٤١٧ .

أما الطور الثالث : فيضم شعراء القرن السادس وما بعده وفيه اخذ الشعراء يمثلون البيئة وتجتمع لهم الحداثة والجدة ويمثل هذا الطور من الشعراء ، ابن حمديس ، ابن عبدون ، ابن خفاجة ، ابن سهل ، ولسان الدين الخطيب ، وابن زمرك وغيرهم^١.

أذن يقتزن اسم ابن حمديس بالحداثة والجدة حتى قال عنه ابن بسام صاحب كتاب الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ما نقله عنه ابن خلكان ((هو شاعر ما هو يقرطس اغراض المعاني البديعة ويعبر عنها بالالفاظ النفيسة الرفيعة ويتصرف في التشبيه المصيب ويغوص في بحر الكلم على درر المعنى الغريب))^٢ والمعنى ابن حمديس كان يكتب في صحيفة شعره.

((وهو من الشعراء النابهين في دور الطوائف))^٣ بل ((لم تنجب مثله صقلية في الشعر ولم يقصر عن اجود ما وصلته الاندلس باستثناء فن التوشيح وربما لم ينشأ ممن شعراء المغرب من يضاويه قوة وتنوعا فهو يمثل ثمرة الشاعرية المغربية في ازهى عصور السيادة السياسية في المغرب))^٤.

ومن يقرأ ديوان ابن حمديس يستطيع ان يستخرج مجموعة من المميزات التي امتاز بها شعره وهي :
١. خلو شعره من الهجاء، اذ كان نبيل الفكرة عفيف اللسان فضلا عن ان شعره كان مرآة صافية تجلت فيها اخلاقه^٥ وقد مر بنا انه لم يمارس غرض الهجاء وقد افتخر بذلك :

يقولون لي لا تجيد الهجاء فقلت ومالي اجيد المديح
فقالوا لانك ترجو الثواب وهذا القياس لعمرى صحيح
عفاف اللسان مقال الجميل وفسق اللسان مقال القبيح

ومالي وما لامرئ مسلم يروح بسيف لساني جريح^٦

٢. رهافة الحس ورقته، اذ ان بيئة صقلية الوارفة الظلال والكثيرة الانهار وبيئة الاندلس الخلابية جعلت حسه مرهفا ورقيقا فلذا ((ترق قصانده حتى تشبه الطبيعة الصقلية والاندلسية الجميلة في رقتها وعذوبتها))^٧ ان عنايته بهذه الطبيعة وافتتانه بها وقدرته البارعة على تصويرها دفعت الكثير من الباحثين الى دراسته شاعرا من شعراء الطبيعة اكثر من اهتمامهم باغراضه الاخرى التي يشكل بعضها خصوصية ابن حمديس وتفوقه على الشعراء الاخرين مثل معايشته لفكرة الوطن والحنين القوي اليه والحلم بالعودة.

وكان وصف الطبيعة عنده يصدر عن طبع لا تكلف فيه ولا صناعة فهو ((يقبل عليها بثقافته الشعرية فيتأملها ويستخرج من المعاني اروعا فيبدوا عالم الطبيعة في حركة وزينة وطرب))^٨ واعرض هنا بعض النماذج واحاول تحليلها مبينا قدرات هذا الشاعر الكبير قال في إحداها :

طرقت والليل ممدود الجناح مرحبا بالشمس من غير صباح
سلم الايماء عنها خجلا او ما كان لها النطق مباح
غادة تحمل في أجفانها سقما فيه منيات الصحاح
الثم الدر حصى ينبع لي بزلال ناقعا فيه التياح
واروي علل الشوق بما لم يكن في قدرة الماء القراح
همت بالعيد فلو كنت الصبا لم يكن مني عنهن بسراح
ومنها

٤. ينظر في الادب الاندلسي ، ص ١٠١.

٥. وفيات الاعيان ، ٢١٢/٣. قرطس الرجل : اصاب القرطاس (والقرطاس بكسر القاف وضمها) ، (المنجد : مادة قرطس).

٦. في الادب الاندلسي ، ص ١٠٠.

٧. ديوان ابن حمديس ، ص ١٧.

٨. ينظر تاريخ الادب العربي ، احمد حسن الزيات ، ص ٣٣٦.

١. ديوان ابن حمديس ، ص ٩٤.

٢. ديوان ابن حمديس ، ص ١٧.

٣. في الادب الاندلسي ، ص ١٠٣.

ارضع الغيم لبانه بانـه
كل غصن تعتري اعطافه
وكان الروض رشت زهره
فتربت فيه قامات المـسـاح
رعدة النشوان من كأس اصطباح
بمياه الورد افواه الريـسـاح^١

ان القارئ يشعر برقعة الموسيقى في هذه الابيات ويرى صوراً متحركة ويدرك قدرة الشاعر على استعمال الاستعارات الجميلة فالفعل طرقت : يدل على حركة فهو بمعنى جاءت زائرة في الليل وهذه الزائرة (الخمرة) منيرة كالشمس وقد مد الليل جناحيه. فقد شبه الليل بالطائر ولكنه حذف المشبه به وابقى كلمة الجناح تدل عليه فالاستعارة مكنية وكذلك فعل بتشبيه الزائرة بالشمس. والإيماء يعني الاشارة والاشارة تحتاج الى حركة وهذه الزائرة خجولة لا تستطيع الكلام فتستعين بالاشارة وكل هذا يوجده الشاعر في خياله الواسع .

والفعل (التم) يوحي لك بصورة انسان يقبل شيئاً.
والغيد هن الحسان فلو كان هو الصبا زمن الشباب والحدائث لما فارق الغيد أي لجعل الغيد دائمة الشباب هكذا يولد المعاني ، والمرأة هي التي ترضع اولادها وقد شبه الغيم بالمرأة بعد ان ترك ما يدل على ذلك عن طريق الفعل (ارضع) والغيم ارضع الاشجار فلذا نشأت قامات الملاح.
والقارئ يجد الحركة في كل جزء من أجزاء الشجر وكأنها قد شربت الخمرة صباحاً فبدأ كل جزء نشواناً.

والرياح رشت عن طريق فمها الروض وزهرة بمياه الورد ان الرسام يستطيع ان يرسم لوحة رائعة من هذه الصورة. وقوله :

ذوبته من سماء أدمع
فجرت منه سيول حولنا
فوق ارض تتلقاه بخد
كثعابين عجال تطرد^٢

الثعابين عندما تسير تتلوى فكيف يكون تلويها اذا كانت مستعجلة بالتأكيد سيكون تلويها سريعاً وقويًا ، وقد شبه جريان السيول في مختلف الاتجاهات كتلوي الثعابين المستعجلة انها صورة متحركة وتشبيهه دقيق يكشف عمق خياله.

وقوله

يكاد وليد الذر يجرح جسمها
انها مبالغة واضحة فلو لمس وليد الذر (النمل المولود توا) جسمها لجرح ذلك الجسم لرقته
٣. ويلاحظ القارئ لديوانه مسحة الحزن والتشاؤم على قسم من شعره ولا سيما في جنينه الى وطنه وهو يتذكر ما حل به ويبقى غريباً يشكوا الغربة فالقلب والعقل والعيون مشدودة الى هناك :
اعاذل دعني اطلق العبرة التي
فانمي امرؤ آوي الى الشجن الذي
لفدرت ارضي ان تعود لقومها
وعزيت فيها النفس لما رأيتها

ادمت لها من اجمل الصبر حابسا
وجدت له في حبه القلب ناخسا
فساءت ظنوني ثم اصبحت يائسا
تكابد داء قاتل السم ناخسا^٣

٤. ان اعتزازه بأصله العربي جعله يقلد الاقدمين في افتتاح بعض قصائده بوصف الاطلال ووصف الناقاة وذكر الصحراء وما يتعلق بها وهو ((يحتذي معاني القدماء والمحدثين فهو يتحدث عن الاطلال حديثاً مؤثراً ثم يتبع مذهب ابي نواس في السخرية منها والتهافت بالخمير في ظل الطبيعة الوارفة وينطبق هذا على اوصافه للخيل والابل والغيث والبرق والبيداء والصيد)) ، فهو يقول:

٤. ديوان ابن حمديس ، ص ٨٢ - ٨٥ (التياح) : شدة الظمأ

٥. المصدر نفسه ، ص ١١٧.

١. ديوان ابن حمديس ، ص ٥٠.

٢. المصدر نفسه ، ص ٢٧٤. الاتيا : الاتب : قميص بلا كمين تلبسه المرأة.

٣. في الادب الاندلسي ، ص ١٠١

ولقد سریت بفتية قطعوا الفلا
وقال في وصف فرس ادهم كان يفضل ركوبه :
ومنغمس في صبغة الليل يمتطي
الى اجل الآساد قيد الأوابد
يكر فكم جسم على الارض ساقط
صريع وكم روح الى الجو صاعد^٢
وفي إحدى مدائحه لابي الحسن علي بن يحيى يفتتح مديحه بالغزل فيقول :
صادتك مهاة لم تصد
فلو حظها بشرك الاسد
من توحى السحر بناظرة
لا تنفت منه في العقد^٣

٥. حين تعرضنا لبينة الشاعر عرفنا ان وترا من التدين قد تحكم في حياته فلذا نراه يحث اهل قومه على محاربة الغزاة من (اهل السبت) ومن (اهل الاحد) اليهود والنصارى كما سماهم وان مثل هذا العمل جهاد في سبيل الله أي ان الروح الجهادية تظهر بارزة في قسم من شعره.
ففي قصيدة يمدح فيها الحسن بن علي بن يحيى يذكر انهزام عدو صقلية عام الديرماس فيقول :
ابي الله الا ان يكون لك النصر
وان يرجع الاعلاج بعد علاجها
ليهنك فتح اولغ السيف فيهم
بسعد كسائك الله منه مهابة
وفي اخرى يقول :
وكيف وقد سيمت هوانا وصيرت
اذا شاعت الرهبان بالضرب انطفت
مساجدها ايدي النصارى كنائسا
مع الصبح والامساء فيها النواقسا

انه يتحسر اذ يرى المساجد تتحول الى كنائس ويحل الرهبان محل ائمة و علماء المسلمين :
ارى بلدي قد سامه الروم ذلة
وكان بقومي عزة متقاعسا

وكانت بلاد الكفر تلبس خوفه
وقد مر بنا كيف خاطب اهله ليدافعوا عن الاسلام :
فأضحى لذاك الخوف منهنّ لابساً^٤
بنو الثغر لستم في الوغى من بني امي
دعوا النوم اني خائف ان تدوسكم
فردوا وجوه الخيل نحو كريهة
وصولوا ببيض في العجاج كأنها
وقرع الحسام الرأس من كل كافر
اذا لم اصل بالعرب منكم على العجم
دواة وانتم في الاماني مع الحلم
مصرحة في الروم بالثكل واليتم
بروق يضرب الهام محمره الجسم
احب الى سمعي من النقر في البم^٥

((والصدق العاطفي كان يتفاوت من غرض لآخر فأعلاها درجة تتجلى في تلك القصائد التي كان يتفجع على وطنه ثم في تلك القصائد الطوال التي يكون الشاعر خاضعا لانفعال مبهم فهو يخرج فيها عواطف الحب والميل الى الخمر والشكوى من الزمان دون حافز خارجي))^٦
ومما يمثل تلك القصائد الطوال التي ينفع فيها الشاعر دون حافز خارجي تلك التي تبدأ ب :

٤. ديوان ابن حمديس ، ص ٧٠ .
٥. المصدر نفسه ، ص ١٣٧ .
٦. المصدر نفسه ، ص ١٥٨ .
٧. المصدر نفسه ، ص ٢٥٢ .
١. ديوان ابن حمديس ، ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .
٢. المصدر نفسه ، ص ٤١٦ .
٣. المصدر نفسه ، ص ١٨ .

كل يوم مودع او مودع بفرق من الزمان منوع^١

او قصيدته التي يفتتحها ب :

مرايعهم للوحش اضحت مرايعا
فمن مبلغ الغادين عنا بأننا
معالم اضحت من دماها عواطلا
((ويقع غزله احيانا بالغ الرقة ولكن العاطفة فيه فاترة))^٢

اما فيما قاله في الزهد والحكمة فهو يقترب من ابي العتاهية بلغته الواضحة واسلوبه المشرق^٤.
وقد كان معاصروه ومن جاء من بعدهم يعجبون ببعض المعاني المبتكرة والصور في وصفه او بناحية
الدقة الجزئية في شعره الوصفي عامة.

اما في نظر الناقد الحديث فيمكن تصنيف شعره حسب الجودة الفنية في الترتيب التالي :
١. قصائده الصقليات
٢. القصائد الطوال التي تمثل التلقائية في الانشاء للتعبير عن حالات
النفس دون حافز خارجي.
٣. شعر الوصف
٤. الشعر الحكمي والتعليمي

اما اسلوبه الشعري فيتردد بين البساطة البالغة التي تشبه العفوية في مثل قوله :
بالله يا سمرات الحي هل هجعت
وهل يراجع وكرا فيك مغترب
عزت جناحيه اشراك من القدر^٣
وبين الكلفة الشديدة في تعقب الجناس والمطابقة تتكرر لديه المعاني وبخاصة في المدح .. ويبدو في
بعض المساجلات الادبية انه كان سريع البديهة يقترح عليه موضوع فينظم فيه^٥

الخاتمة

يرتبط اسم ابن حمديس بالحادثة والجدة في القرن السادس للهجرة في الأندلس فقد استطاع ان
يخضع لشخصيته بعد ان بقي الشاعر الاندلسي زمنا طويلا يحاكي ما قاله الشعراء في المشرق.
وابن حمديس يقبل على الطبيعة التي فتن بها فتونا بثقافته الشعرية فيتأملها ويستخرج من المعاني
اروعها وتبدو الطبيعة حية مشخصة.

وشعره مرآة صافية لحياته في مختلف اطوارها فمن خلال ديوانه نستطيع ان نكتب سيرته واثره في
البيئة وتأثره بها. ويمكن ان الخص اهم النتائج التي توصلت اليها على النحو الآتي :

١. تغلب اندلسية ابن حمديس ووصف الطبيعة على شخصيته في معظم المصادر التي تتناوله
بالدراسة اكثر من الاغراض الاخرى التي تنظم فيها.
٢. ان الحنين القوي الى وطنه وتفجعه عليه لما حل به من نكبات صادق ومؤثر فهو لم يشعر يوما
بأنه صار من اهل البلد الجديد الذي حل به وانما كان يهتف بأنه غريب.
٣. لقد تفوق على الاخرين في وصف الطبيعة هذا الغرض الذي تغلغل في اغراضه الاخرى وقد قدم
اوصافا تتجلى فيها روح الابتكار والابداع. ولعله اشهر من عرض لوصف ((البرد))
٤. ان قدرته على التصوير فائقة فهو يرسم صورا متحركة حين يصف يستطيع الرسام ان يستلهم
لوحات من شعره.
٥. تبلغ الجودة الفنية عنده الذروة في قصائده الصقليات.
٦. تظهر شخصيته متحركة في الشعر الذي أصبح خاضعا له لأنه عبر عن البيئة التي عاشها حية.

٤. المصدر نفسه ، ص ٣٠٤.

٥. المصدر نفسه ، ص ٣١٢.

٦. المصدر نفسه ، ص ١٩.

٧. ينظر تاريخ الادب العربي ، ص ٣٣٦.

٨. ينظر ديوان ابن حمديس ، ص ١٧ - ١٩.

٩. المصدر نفسه ، ص ٢٠٦. سمرات : اشجار.

١٠. ينظر المصدر نفسه ، ص ٢١.

٧. استعمل افتتاح بعض القصائد بالغزل الطللي ليعبر عن حبه للعرب وتعلقه بهم.

هذا والله اعلم ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع

١. الادب الاندلسي – موضوعاته وفنونه – الدكتور مصطفى الشكعة – ط٤ دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٩م.
٢. الادب العربي وتاريخه ، محمود مصطفى ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م.
٣. امراء الشعر العربي في العصر العباسي – انيس المقدسي ، ط٢ المطبعة الاميركانية ١٩٣٦م.
٤. تاريخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبة . د. احسان عباس . دار الثقافة الطبعة الثانية بيروت ١٩٧٧م.
٥. تاريخ الادب العربي . احمد حسن الزيات . طبعة نهضة مصر . القاهرة . ١٩٥٧.
٦. تاريخ الادب العربي . حنا الفاخوري . المطبعة البوليسية . القاهرة . د.ت.
٧. تاريخ الادب العربي . عمر فروخ . ط١ دار العلم للملايين . بيروت . ١٩٩٢م.
٨. دائرة المعارف الاسلامية نقلها الى العربية محمد ثابت الفندي وآخرون مصر ، ١٩٣٣م.
٩. الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، ابي الحسن علي بن بسام الشنتريني ، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس ، ١٩٧٨م.
١٠. شعر الطبيعة في الادب العربي د.سيد نوفل ، القاهرة ، ١٩٤٥م.
١١. ظهر الاسلام د.احمد امين ، ط٥ دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٦٩م.
١٢. فجر الأندلس ، د. حسن مؤنس ، ط١ الشركة العربية للطباعة والنشر القاهرة ، ١٩٥٩م.
١٣. الفن ومذاهبه في الشعر العربي د. شوقي ضيف ، ط٦ دار المعارف ، ١٩٦٥م.

١٤. في الادب الاندلسي د. جودة الركابي ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٨٠م.
١٥. محمد بن عمار الاندلسي ، د.صلاح خالص ، مطبعة الهدى ، بغداد ١٩٥٧م.
١٦. المنجد في اللغة ، ط ١ ، دار الفقه للطباعة والنشر ، ايران ، ٢٠٠١م.
١٧. نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، احمد بن محمد المقرئ التلمساني ، دار صادر ، بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.
١٨. وفيات الاعيان ، ابن خلكان ، دار الثقافة ن طبعة بيروت ، ١٩٧٠.